



علم نفس الشخصية

م.م. أميرة عبد الكريم مران المرعي
ماجستير صحة نفسية



محددات الشخصية :

هي مجموعة المتغيرات أو المنظومات الأكثر حسماً في تحديد مفهوم الشخصية ونموها .
إلا أنه يمكن عد المنظومة البنائية (Structural system) والمنظومة الاجتماعية (Social system) أساسان هامان في معظم التراث السيكولوجي الخاص بالشخصية وهما متفاعلان عضوياً .

١) المنظومة البنائية (Structural system):

يقصد بها بنية الفرد من ناحية الأجهزة المختلفة مثل الجهاز العصبي وجهاز الغدد والجهاز الدوري ... الخ وكذلك الأنسجة المختلفة والخلايا في تلك الأنسجة والدم والعظام.
إذ يحتوي كل فرد على (٢٣) زوج من الكروموسومات (٢٢) زوج جسمي + (١) زوج واحد جنسي لتحديد جنس الجنين، إذ يرمز للذكر بالرمز (XY) وللأنثى (XX).
ومن الجدير بالذكر إلى أنه كلما تعددت كمية أعداد الخلايا والأنسجة يشير إلى التعقيد في البناء وهذا التعقيد يؤدي إلى المزيد من الوظائف (Functions) على سبيل المثال إن عدد الخلايا العصبية في النصفين الكرويين في مخ الإنسان يتراوح بين (١٤ - ١٧) مليار خلية وهو أكبر رقم من الخلايا للجهاز العصبي المركزي في الكائنات الحية.
ونظراً لأن الإنسان هو أرقى الكائنات الحية فهناك عدد من التباينات اي (الاختلافات) بينه وبين بقية الكائنات الحية تتلخص بما يأتي:

أ) الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتعامل بالرمز (اللغة) المكتوبة أو المرسومة أو المنقوشة أو المسموعة، بينما تعجز بقية الكائنات الأخرى عن هذا التواصل. وعليه فقد أصبح للإنسان تراث ثقافي ينقل عبر الأجيال ولا يوجد هذا التراث في أي من الكائنات الحية الأخرى.

ب) الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يتعامل مع المحسوس أو العياني (Concrete) وكذلك يتعامل مع المجرد (Abstract) في حين الكائنات الأخرى لا تتعامل إلا مع المحسوس " العياني فقط " . وهذا الاختلاف الكيفي أدى بالإنسان إلى أن يتصور المستقبل ويفهم المجرد والمعنوي، فكلما فضيلة مثلاً أو شجاعة أو صدق يفهمها الإنسان بينما تعجز الكائنات الأخرى عن تصور هذه المفاهيم، لذا تعيش فقط في محاولة إعادة التوازن الفسيولوجي لها بالإشباع الحشوية (طعام - ماء - جنس ... الخ) ، أي إن المحدد الأساس للكائنات الحية - بغض النظر عن درجة تطوره في سلم التطور - هو إعادة (الهوميوستازيس الساكن) Static Homeostasis إلى التوازن Equilibrium .



بينما وفي حالة الإنسان فضلاً عن إعادة التوازن الفسيولوجي هناك محاولة دائمة لتحقيق حالة التوازن النفسي الدينامي أي إعادة الهوميوستازس الدينامي إلى حالة التوازن (تحقيق الأمن)، المحبة، الانجاز، الحرية، الضبط ... الخ.

على سبيل المثال:

✓ إذا لم تشبع الحاجات الفسيولوجية مثل الماء يقل معدل وجود الماء في الجسم ويؤدي هذا إلى عدم التوازن (Disequilibrium) في الهوميوستازس الساكن، ويعود الهوميوستازس إلى حالة التوازن عند شرب الماء (أي أن عدم التوازن الفسيولوجي يحدث نتيجة عدم إشباع الحاجات الفسيولوجية) كالجوع والعطش والجنس ... الخ.

✓ ويحدث حالة من عدم الاتزان في الهوميوستازس الديناميكي (النفسي) إذا لم تشبع حاجات الإنسان النفسية أو الاجتماعية، فعدم إشباع الحاجة للأمن (Need for Security) يؤدي بالفرد إلى حالة من عدم التوازن النفسي وكذلك الحال بالنسبة للحاجات النفسية مثل :

Need for affection	الحاجة إلى التواد
Need for recognition	الحاجة إلى التقدير
Need for achievement	الحاجة للإنجاز
Need for belongingness	الحاجة للإلتواء
Need for freedom	الحاجة للحرية
Need for control	الحاجة للضبط

(ج) الإنسان هو الكائن الوحيد بين الكائنات الحية الذي يستطيع أن يسيطر ويتحكم في بيئته أو يغيرها لصالحه عن طريق العمل الإنساني ، بينما تعجز كل الكائنات الحية الأخرى عن إحداث مثل هذا التغيير وعليها أن تتكيف مع البيئة . فإذا حدث حريق في غابة على سبيل المثال أو سقوط شديد للأمطار فأن جميع الكائنات الحية في الغابة تسارع بالفرار، أما الإنسان فيستطيع بالعمل الإنساني أن يتحكم في هذه البيئة ، فيطفئ النار إذا أراد لأنه يستطيع اكتشاف القانون الذي يحكم الظواهر المختلفة سواء أكانت طبيعية أم اقتصادية أم اجتماعية أو إنسانية .. الخ ، واكتشاف القانون يتيح الفرصة للفهم والتنبؤ والضبط .



٢) المنظومة الاجتماعية Social system:

تعد المحدد الآخر من محددات الشخصية والمقصود بها : الثقافة التي يعيشها الفرد أو ينخرط فيها وكذلك التراث التاريخي والحضاري له .

ويشكل هذا التراث التاريخي الحضاري والثقافة المعاصرة للفرد نوع الشخصية التي تراها متباينة من مجتمع لآخر ومن ثقافة لأخرى ومن تاريخ حضاري لفرد عن آخر ، وعليه لا يمكن دراسة الشخصية بطريقة مجردة في المجتمعات المختلفة ، لأنها بالضرورة تعكس هذا التراث الحضاري وهذه الثقافة المعاصرة وتعكس الظروف البيئية والاجتماعية التي تحيط بالفرد فلا يمكن مثلاً توحيد شخصية الفرد الصيني او غيره .

ويمكن ان نضيف لهذا البعد نوع التنشئة الاجتماعية (التطبيع الاجتماعي) التي تتخرب فيها الشخصية. وهناك مجموعة من مصادر التطبيع الاجتماعي تبدأ بالأسرة كمؤسسة اجتماعية وما يصاحبها من جماعات الرفاق (الأقران) وكذلك مؤسسة الإعلام والمؤسسات الحزبية والترفيهية ... الخ ، إذ تطبع كل هذه المصادر (الشخصية) بطابع خاص ومميز ، يختلف من مجتمع لآخر ومن بيئة لأخرى . ولا يعني هذا أن أبناء المجتمع الواحد تكون شخصياتهم صوراً كربونية وذلك للتباين الواضح في الثقافات الفرعية Sub-culture .

فالمعروف أن أية ثقافة تتحدد بثلاث مستويات هي :

♥ **العموميات Univxersalities** : المقصود بها ما هو شائع في ثقافة ما بحيث يتمثلها كل أفراد المجتمع

ولعل من اهم العموميات (اللغة) التي تعد بمثابة الوعاء الثقافي العام إذ يشترك كل أفراد المجتمع في هذه اللغة ويدخل ضمن عموميات الثقافة نوع الملابس المميزة وطرز المباني وأنواع الأطعمة الشائعة .

♥ **الخصوصيات Specialties** : وهي ثقافة فرعية لا يتمثلها كل أفراد المجتمع وهي ثقافات فرعية مختلفة في

داخل الثقافة العامة تحدها الطبقات الاجتماعية إن وجدت كما يحددها الوضع الاقتصادي وتبايناته كذلك تحدها مستويات التعليم ونوعية المهن وكذلك الريف والحضر .. الخ من المحددات .

ونلاحظ في داخل هذه الثقافات الفرعية تباينات واضحة في داخل المجتمع الواحد فالاطباء على سبيل المثال لهم ثقافة فرعية تتمثل في مجموعة العادات والممارسات والمفاهيم والافكار الخاصة بهم .

♥ **التفرد الثقافي Uniqueness** : المقصود به التفرد بين افراد الثقافة الفرعية في ضوء الخبرات الخاصة والمعاناة

والمطامح الفردية التي تقتصر على فرد معين وتباين بالضرورة من فرد لآخر في داخل الثقافة نفسها .

ويمكن القول ان لكل فرد شخصيته الخاصة به والتي تتضح من خلال أداؤه وممارساته عن طريق ملاحظته ومن خلال مجموعة من المقاييس والاختبارات .



ديناميات الشخصية

برز مفهوم الدينامية نقيضاً لمفهوم الاستاتيكية وقد سيطر هذا المفهوم الأخير على فكر الكثير من علماء النفس وكذا علماء الفيزياء في ضوء النظرية الميكانيكية لـ (نيوتن) التي أثرت في الفكر الإنساني عامة زهاء ثلاثة قرون (القرن ١٧ ، ١٨ ، ١٩) وبرز مفهوم الدينامية رفضاً لفكرة الثبات وسعيًا وراء التغير والضرورة في عالم تسيره (اللاثوابت) . وفي علم النفس كان فرويد من أوائل من قدم تفسيراً للنفس البشرية مستخدماً هذا المصطلح .

الدينامية : تعني تفاعل شبكة من المتغيرات سواء أكانت هذه المتغيرات في النفس البشرية أو كانت في الظواهر الطبيعية أم البيولوجية .

إذ كان التفسير لأية ظاهرة إنسانية أو اجتماعية أو فيزيقية لا يتأتى إلا بالمفهوم الدينامي وهو مفهوم شبكي يتجاوز المفهوم الخطي (سبب ونتيجة) الذي كان يميز الفهم الاستاتيكي للظواهر والأحداث . وينظر للدينامية من خلال ثلاثة مبادئ أو قوانين تساعد في تفسير السلوك الإنساني ومن ثم فهم الشخصية وهي :

(١) مبدأ خفض (اختزال) التوتر وإعادة التوازن :

يشير فرويد في ضوء تصوره عن الجهاز النفسي (الهو والأنا والأنا الأعلى) إلى ظاهرتي الإشباع - الإحباط - التي يعاني منها الطفل في باكورة حياته وفقاً لمبدأي اللذة والواقع ، حين يتم الإشباع يختزل التوتر وتعاد حالة الاتزان الفسيولوجي للكائن الحي . وقد أشار إلى هذا المفهوم الخاص بالاتزان عالم الفسيولوجي المشهور (كلود برنارد Claude Bernard) في كتابه (الطب التجريبي) الذي أطلق مصطلح (الهوميوستازس) والمصطلح المطروح يوظف فسيولوجياً وسيكولوجياً .

في الحالة الأولى يحدث توازن حيوي فسيولوجي نتيجة لخفض التوتر الناجم عن إشباع الدوافع الفسيولوجية مثل (الجوع والعطش والجنس ... الخ) وتسمى هذه الحالة باتزان الهوميوستازس الفسيولوجي ، وينسحب نفس الكلام في حالة التوازن السيكولوجي إذا ما تم إشباع الدوافع الثانوية المكتسبة مثل (الأمن والمحبة والانجاز والانتماء ... الخ) وتسمى هذه الحالة باتزان الهوميوستازس الدينامي أو النفسي .

(٢) الفعالية (التأثير) في البيئة :

يعد هذا المبدأ من المبادئ التي تعكس بوضوح إيجابية الطفل أثناء نموه إذ لا يقتصر الأمر على مجرد اشباع حاجاته الفسيولوجية والنفسية فحسب بل يتعدى هذا إلى تحقيق الدوافع نحو التأثير الفاعل في بيئته . ويعد اللعب إحدى الأدوات التي تكشف عن مدى الحاجة لهذا التأثير من جانب الطفل .



٣) النمو بالفعل والنمو بالقوة :

ينمو الرضيع بالتغذية وبالرعاية الصحية فيزداد حجماً ووزناً مع الأيام ويعد هذا النمو نمواً بالفعل إذ أن الزيادة في عدد الخلايا ومن ثم الأنسجة تكبر الأعضاء وتزداد وزناً وحجماً وكل ذلك يدخل في باب مصطلح (النمو Growth) ويصاحب هذا النمو تعقد في الوظائف (Functions) بمعنى أن يمكن لعضو في الجسم أن يؤدي وظيفة محددة في سن معين ، ويؤدي وظيفة أخرى مضافة في سن تالٍ ، فمعدة الرضيع مثلاً تستطيع هضم لبن الأم ولا يمكنها هضم قطعة من اللحم ، ولكن بعد سن معينة تستطيع المعدة نفسها أن تهضم اللحوم والبقول ، إذ تعددت وظائفها ويسمى هذا النوع من النمو بالنمو الكيفي Development ويعد النوع الأول من النمو بـ (النمو الكمي) .

يضاف إلى هذين النوعين من النمو بالفعل نمو آخر يسمى (النمو بالقوة) والمقصود به : أن ثمة حافزاً أو دافعاً في داخل الإنسان يحاول أن يجعل الفرد مستقلاً ويدفع به إلى درجات أعلى من النمو . وبمعنى آخر أن هناك إمكانية داخلية للفرد إذا ما أتاحت لها الفرصة ووجدت ظروفاً مناسبة من التوافق يسمى تحقيق الذات كما أشار إليه العالم أبراهام ماسلو وأسمها أدلر الكفاح من أجل التفوق .

وهذا المبدأ يميز الإنسان عن بقية الكائنات الحية لأنه ينقله من التعامل مع المحسوس إلى التعامل مع المجرد والتعامل مع المجرد والمعنوي يتطلب نمواً بالقوة ، وبمعنى آخر إمكانية إضفاء وظائف جديدة للجهازين العصبي المركزي (المخ أساساً) ويتمثل في التعطش نحو المعرفة والتذوق الجمالي والتفلسف وكلها وظائف تعبر عن إمكانية لا نهائية لمخ الإنسان وتتجاوز حدود ما معروف آنياً عن الإمكانيات للإنسان المعاصر .